المجاورون بالمدينة في العهد المملوكي ودورهم في الحياة العامة كما جاء في كتاب "التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة" للإمام السخاوي

أ. خالد بن عبد الله السعيد

طالب دراسات عليا- ماجستير - قسم التاريخ -
كلية الآداب - جامعة الملك سعود
المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تروم هذه الدراسة الكشف عن الأدوار التي اضطلع بها الوافدون على المدينة المنورة من مختلف الأقطار الإسلامية، أو من يُطلق عليهم بالمجاورين، في العهد المملوكي (648 – 923هـ/ 1250 – 1517م)، وذلك من خلال استقصاء ما ورد في كتاب «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» للإمام شمس الدين السخاوي (ت 902هـ/1497م). ويتضح من مطالعة أحوال المجاورين إبان تلك الفترة أنهم لم يجدوا كبير عناء في الاندماج في مجتمعهم الجديد والتعايش مع أهله، وبخاصة أن طائفة كبيرة من أولئك المجاورين قد أفنوا عواماً طوال في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم، بل أن بعضهمقد انقطعوا عن منابتهم وأوطانهم ليقضوا ما تبقى من أعمارهم في المدينة المنورة. ويقوم منهج الدراسة على جمع لمادة العلمية الخاصة بحياة المجاورين في كتاب «التحفة اللطيفة» في العهد المملوكي، ثم دراستها وتحليلها ونقدها بموضوعية، وذلك من خلال تطبيق المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي. وتنبع أهمية هذه الدراسة من شح الدراسات – بحسب ما توصل إليه الباحث – التي تناولت حياة وجهود أولئك المجاورين بالمدينة، فضلاً عن الحاجة إلى تسليط الضوء على دور هذه الشريحة الاجتماعية والتعرف على ما إذا كان لها إسهامات في إثراء الحياة العامة هناك. ولقد خلصت الدراسة إلى أن المجاورين كانوا أفراداً فاعلين وعناصر نشطين، وكانت لهم إسهاماتهم المباركة وجهودهم الحثيثة في مختلف مناشط الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية.

كلمات مفتاحية: المجاورون، المدينة المنورة، الإمام السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، العهد المملوكي.

Abstract:

This study aims to reveal the roles played by the arrivals to AlMadinahAlmonawarafrom various Islamic countries, or those who are called AlMujaoureen, during the Mamluk era (648-923 AH/1250- 1517AD), by examining what was mentioned in

the book "Altuhfa Allatifah fi Tarikh Almadinah Alsharifah" by Alimam AlSakhawi (d. 902 AH / 1497 AD). The study method is based on collecting the scientific material on the lives of AlMujaoureen in the book "Altuhfa Allatifah" in the Mamluk era, then studying, analyzing and criticizing it objectively, through the application of the historical, descriptive and analytical method. The importance of this study stems from the scarcity of studies - according to what the researcher found - that dealt with the lives and efforts of those AlMujaoureen, as well as the need to shed light on the role of this social segment and to identify whether it has contributions to enriching public life there.The study concluded that AlMujaouareen were active individuals, and they had their blessed contributions and unremitting efforts in the various activities of religious, scientific, social and economic life.

Keywords: AlMujaoureen, AlmadinahAlmonawara, Alimam AlSakhawi,Altuhfa Allatifah fi Tarikh Almadinah Alsharifah, Mamluk era

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن سار على دربه، واهتدى بهديه إلى يوم الدين... أما بعد:

أصبحت المدينة المنورة منذ الهجرة النبوية المباركة موئلاً للدين، وموطناً للمسلمين، ومشكاةً للدعوة، ومنطلقاً للفتح. ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم، باتت أفئدة المسلمين متعلقة بها، وأبصارهم شاخصة إليها. واسم المدينة غلبعلى مدينة رسول الله ﷺ، حتى صار علماً عليها عند الإطلاق[1]، ولقد وردت تسميتها في القرآن الكريم بهذا الاسم في أربع آيات، منها قول الحق تبارك وتعالى: {**ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه... الآية**[2]}. وقد بالغ بعض المؤرخين في تعداد أسمائها، حتى أوصلها السمهودي إلى أربعة وتسعين اسماً، منها ما صح في النصوص، ومنها ما كان اجتهاداً من العلماء، فمن جملة أسمائها نذكر مثلاً لا حصراً: يثرب، أكّالة القرى، الجابرة، الحبيبة، دار الأخيار، ذات الحرار، ذات النخل، سيدة البلدان، الشافية، طابة، طَيْبَة، العذراء، القاصمة، قبة الإسلام، المحفوظة، مدخل صدق، المرزوقة، وغيرها كثير[3].

ولقد انعقد الاتفاق بين أمة الإسلام على تفضيل مكة المكرمة والمدينة المنورة على سائر بلدان الدنيا، ولكنهم اختلفوا في أيهما أفضل؛ فذهب عمر بن الخطاب وابنه عبيدالله- رضي الله عنهما – والإمام مالك بن أنس وأكثر المدنيين إلى تفضيل المدينة[4]. وأحسن بعضهم فقال: **محل الخلاف في غير الكعبة الشريفة، فهي أفضل من المدينة ما عدا ما ضمَّ الأعضاء الشريفة إجماعاً**[5]. وهناك أحاديث شريفة كثيرة اشتملت على شيء من مناقب المدينة النبوية وإبراز مكانتها وذكر بركتها وبيان حرمتها. فمن فضائل المدينة المنورة أنها تنفي الخبيث من الناس ومن كان في قلبه دغل، فلا يمكث في طيبة إلا الطيبين، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ في المدينة: «**أُمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد**[6]». وأخبرنا ﷺ أن المدينة محفوظة بمشيئة الله من الطاعون والدجال، حيث قال: «**على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**[7]». ودعا النبي ﷺ ربه بحصول البركة ومضاعفتها لأهل المدينة، بمثلي ما جعل في مكة المكرمة، فقال: «**اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة**[8]». وتوعد ﷺ كل من أراد المدينة وأهلها بسوء بالهلاك، فقال: «**لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء**[9]». ومن الفضائل التي تسمو بها المدينة على باقي المدن، أن رسول اللهﷺ حثَّ وحضَّ في أكثر من موضع على البقاء فيها والصبر على شدائدها وضيق العيش فيها، لما في ذلك من حصول الخيرات والبركات لساكنها، ولا نجد مدينة أخرى غير المدينة حظيت بمثل هذا الشرف. فمن الأمثلة على ذلك، قولهﷺ: «**لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة**[10]». وأخبر النبيﷺ أصحابه أنه سيأتي على الناس زمان تُفتح فيه بلدان أنعم عيشاً وأوفر رزقاً وأكثر رخاءً من المدينة المنورة، فيتحول إليها من مدينة الرسول رجال بأنفسهم وعشائرهم طلباً لحظهم من الدنيا الفانية، وهم لا يعلمون أنهم بذلك قد فوّتوا على أنفسهم خيراً كثيراً، فقد جاء عنه ﷺ أنه قال: «**المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها، إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة**[11]». فالمدينة بذلك هي خير مكان ينزل به الإنسان، فمن أراد الله به خيراً جعلها له مستقر، ومن تحوّل عنها رغبة في غيرها فقد خاب وخسر، وأما هي فيسوق الله إليها من هو خير منه وأحق بها[12].

إن مكانة المدينة الروحية، وقيمتها التاريخية، جعلتها قبلة لطالبين

الفوز بسكناها، وقاصدين السعادة بمجاورتها، فإليها هاجر سيد الأنام، وفيها قامت دولة الإسلام، ومنها انطلقت حركة الفتوح المباركة، وتحت ثراها يرقد جسد رسول الله ﷺ الزكي الطيب الطاهر وأجساد أكثر أصحابه الكرام. ولقد اجتذبت المدينة إليها، نظير ما اجتمع فيها من الفضائل، منذ عهود مبكرة، جموعاً غفيرة من المحبين المشتاقين، الذين قدموا إليها من مشارق الأرض ومغاربها، طلب مجاورتها والاستظلال بأفيائها وتنسم نسائمها، وهؤلاء من يقال لهم المجاورين.

إن المجاورين، ويقال للفرد منهم: مجاور أو نزيل، هم من أخلاط شتى، فمنهم الغني والفقير، ومنهم العالم والطالب. والمجاورون ينحدرون من أوطان مختلفة، فمنهم المصري والشامي والمغربي والأندلسي واليماني والعراقي والفارسي والبخاري والهندي، وغيرهم. وأما ما يخص مدة المجاورة، فليس لها حداً زمنياً؛ فالمجاورة قد تقصر أو تطول، وقد تكون لمرة واحدة أو لعدة مرات، وذلك بحسب رغبة المجاور وظروفه، فبعضهم يقيم في المدينة شهوراً، وبعضهم يبقى فيها أعواماً، وبعضهم يطوي فيها ما بقي له من صفحات عمره. وستقوم هذه الدراسة بتسليط بعض الضوء على أحوال المجاورين بمدينة الرسول عليه أفضل الصلوات والتسليم؛ بقصد التعرف على ما إذا كانوا قد اختاروا العيش في عزلة عن المجتمع المدني أو اختاروا الاندماج فيه والتفاعل معه، وما إذا كانت لهم مشاركات تُشكر وآثار تُحمد في الحياة الدينية والعلميةوالاجتماعية والاقتصادية، إبان العصر المملوكي، أي في الفترة الممتدة من منتصف القرن السابع وحتى أوائل القرن العاشر الهجري. وسيكون كتاب «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» للإمام شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت 902هـ/1497م)، بما حواه بين دفتيه من بعض التراجم لأولئك المجاورين، المصدر الوحيد الذي ترتكز عليه هذه الدراسة ومنه تستمد مادتها. وتأتي هذه الدراسة ضمن سلسلة من الدراسات المعاصرة التي أخذت على عاتقها مهمة استنطاق أحوال المجاورين والتعرف على آثارهم في بلاد الحرمين؛ ولكن ما يميّز هذه الدراسة من غيرها أنها جعلت من كتاب الإمام شمس الدين السخاوي مصدراً لها ومداراً لبحثها، بجانب أنها لن تقف عند حدود الأدوار العلمية للمجاورين فحسب، بل ستمتد إلى استطلاع أدوارهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية. وتحقيقاً للهدف من هذا البحث، فقد تم تبويب الدراسة إلى مقدمة وخاتمة وبينهما مبحثين. فالمبحث الأول يضم مطلبين: أولهما يعطي ومضات من الحياة العلمية للإمام السخاوي، وثانيهما يحوي توصيفاً لكتابه المذكور آنفاً، من حيث أجزائه وفائدته وموضوعه

وموارده ومنهجه. أما المبحث الثاني فينقسم إلى أربعة مطالب: فالمطلب الأول يستعرض شيئاً من جهود أولئك المجاورين في خدمة الحياة الدينية من خلال تقلد عدد من الوظائف الدينية، مثل: الإمامة، والخطابة، والأذان، والإفتاء، والقضاء. أما المطلب الثاني فيبيّن بعضاً من جهود المجاورين البارزة في الدفع بالحركة العلمية إلى الإمام، كما نجده في قيامهم ببناء المدارس، والتصدي للتدريس، والاشتغال بالتأليف، وما يشبه ذلك من أعمال. وأما المطلب الثالث فيكشف النقاب عن شيء من الأعمال الخيرية التي تطوع بها المجاورون طلباً لرضوان الله وأملاً في مثوبته وغفرانه، مثل: العطف على الفقراء وإكرامهم، وبناء الأربطة، وحفر الآبار، ومداواة المرضى. ويتناول المطلب الرابع والأخير الأعمال الاقتصادية التي قام بها أولئك المجاورون بالمدينة، كاشتغالهم بالتجارة، أو احترافهم للنساخة، أو غيرهما من الأعمال الأخرى.

أولاً: لمحة من حياة السخاوي وكتابه التحفة اللطيفة:

كما تقدم ذكره في مقدمة الدراسة، فإن المبحث الأول سوف يتضمن نبذة مختصرة من سيرة الإمام شمس الدين السخاوي العلمية، تشمل: اسمه ومولده، تعليمه وشيوخه، مصنّفاته، عصره، ثم وفاته. ويعقب ذلك تعريف بموضوع وموارد ومنهج كتاب «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة».

أ.لمحة من حياة السخاوي:

1.اسمه ومولده:

هو الشيخ الإمام، العلاّمة المسند، الحافظ المتقن، المؤرخ، محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي[13] الأصل، القاهري المولد والنشأة، الشافعي المذهب، ويُلقب السخاوي بشمس الدين، ويُكنى بأبي عبدالله، وبأبي الخير[14]. وقد يُقال له أحياناً البغدادي، ولعل سبب ذلك أن أجداده الأوائل كانوا من بغداد، ثم أن أسرته نزلت مصر واتخذت من سخا مسكناً لها، وفي سخا وُلد جده محمد، الذي قدم بع أن كبر إلى القاهرة فقطنها، ووُلد له فيها عدة أولاد[15]. وقد يُقال للإمام السخاوي الغزولي، وذلك نسبة إلى مهنة الغزل التي كان والده وجده يعملان بها[16]. وأما مولده، فقد وُلد السخاوي في ربيع الأول من سنة 831هـ/1428م في حارة بهاء الدين قراقوش بالقاهرة، وفيها نشأ وتلقى علومه[17].

2.تعليمه وشيوخه:

ينتمي الإمام السخاوي إلى أسرة علمية عريقة، فأبوه، وجده، وبعض أعمامه وأخواله من العلماء الذين اشتهروا في أماكنهم، لذا كان من الطبيعي أن يقفو آثارهم ويطأ مواقع أقدامهم منذ طفولته. ولقد حفظ الإمام السخاوي

القرآن الكريم وهو صغير، وصلّى به في شهر رمضان الكريم[18]. وحفظ «عمدة الأحكام»، و«التنبيه»، و«المنهاج»، و«ألفية ابن مالك»، و«ألفية العراقي»، وغالب «الشاطبية»، و«النخبة»، وغيرها كثير[19]. وبرع في الفقه، والعربية، والقراءات، والحديث، والتاريخ، وشارك في الفرائض، والحساب، والميقات، والتفسير، وأصول الفقه، وغيرها[20]. وكان الإمام السخاوي منذ صغره كدوداً في طلب العلم، فقد جلس إلى جمع غفير من الشيوخ والعلماء، وأذن له غير واحد بالإفتاء والتدريس والإملاء[21]. ويأتي على رأس شيوخ السخاوي وأشهرهم شيخ الإسلام وإمام الأئمة أبو الفضل بن حجر العسقلاني، حيث قرأ عليه السخاوي كثيراً، وسمع عليه ولازمه أشد الملازمة، وسمع من لفظه أشياء كثيرة، وحمل عنه أكثر تصانيفه، وأذن له في الإقراء[22]. وأخبر السخاوي في ترجمته المطولة لنفسه في كتابه الضوء اللامع، والتي جاءت في أكثر من ثلاثين صفحة، أنه أخذ عمن هب ودب، ودرج ودحرج، حتى بلغت عدتهم زهاء ألف ومائتين[23]، نذكر منهم مثلاً لا حصراً: العز بن الفرات (ت 851هـ/1448م)، وبرهان الدين ابن خضر (ت 852هـ/1449م)، والزين السنديسي (ت 852هـ/1448م)، والزين رضوان العقبي (ت 852هـ/1448م)، وعز الدين عبدالسلام البغدادي (ت 859هـ/1455م)، و وابن الديري (ت 867هـ/1463م)، وعلم الدين ابن البلقيني (ت 868هـ/1463م)، والشرف المناوي (ت 871هـ/1467م)، والتقي الشمني (ت 872هـ/1467م)، وابن أسد (ت 872هـ/1468مـ)، وابن إمام الكاملية (ت 874هـ/1470م)، وأبي البركات الحنبلي (ت 876هـ/1471مـ)، وابن قطلوبغا قاسم الحنفي (ت 879هـ/1474م)، وآخرين مما يطول ذكرهم ويعز حصرهم[24].

3.مصنّفاته:

شرع الإمام السخاوي في التأليف قبل أن يكمل العشرين من عمره[25]. وكان رحمه الله كثير الكتب، غزير التأليف، وله ما يربو على مائتي مصنّف، ومنها ما يبلغ العشرة الأجزاء. ولقد كتب الإمام السخاوي في كثير من أبواب المعرفة، مثل: علوم الحديث، والفقه، والتراجم، والتاريخ، واللغة، والأدب، وغيرها من العلوم. ووجدت مؤلفات الإمام السخاوي، التي طاف بعضها الأقطار وأطبقت الآفاق، الثناء والتقريظ ممن عاصره من أهل العلم، وممن جاء بعدهم. ومن أشهر مؤلفاته، نذكر مثلاً: «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث»، و«المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة»، و«القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع»، و«الأصل والأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل»، و«عمدة المحتج في حكم الشطرنج»، و«الضوء اللامع لأهل

القرن التاسع»، و«التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة»، و«الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر»، و«التاريخ المحيط»، و«ملخص تاريخ اليمن»، و«المنتقى من تاريخ مكة» للفاسي، و«الفوائد الجلية في الأسماء النبوية»، و«الفخر العلوي في المولد النبوي»، و«الإيناس بمناقب العباس»، «رجحان الكفة في بيان أهل الصفة»، و«القول المتين في تحسين الظن بالمخلوقين»[26].

4.عصره:

عاش الإمام السخاوي في ظل عصر الدولة المملوكية الجركسية أو البرجية، والتي بسطت نفوذها على مصر وبلاد الشام والحجاز في الفترة الممتدة من سنة (784 – 923هـ/ 1382 – 1517م). ولقد عاصر الإمام السخاوي اثني عشر سلطاناً مملوكياً، أولهم السلطان الأشرف أبو النصر سيف الدين برسباي (825 – 841هـ/ 1422 – 1438م)، وآخرهم السلطان الناصر أبو السعادات محمد بن قايتباي والذي تسلطن مرتين آخرهما (902 – 904هـ/ 1497 – 1498م). وكان الإمام السخاوي على صلة طيبة ببعض أولئك السلاطين. ففي ترجمته للسلطان الظاهر أبي سعيد جقمق العلائي (842 – 857هـ/ 1438 – 1453م) في كتابه الضوء اللامع، قال السخاوي: «... **وقد اجتمعت به مراراً وأهديت إليه بعد وفاه شيخنا [الإمام ابن حجر العسقلاني] بعض التصانيف وأنعم هو علي بما ألهمه الله به وصار يكثر من الترحم على شيخنا والتأسف على فقده بل سماه أمير المؤمنين...**»[27]. وبالمثل، فقد كان الإمام السخاوي مكيناً عند السلطان الأشرف أبي النصر قايتباي المحمودي (873 – 901هـ/ 1468 – 1495م)، فقد صنّف له عدة مصنّفات وقرأ عليه بعضها. يقول السخاوي في ترجمته المطولة لهذا السلطان: «... **وقد أشرت إليه في مقدمات عدة كتب وصلت إليه من تصانيفي كرفع الشكوك بمفاخر الملوك والقول التام في فضل الرمي بالسهام... وقد تكرر جلوسي معه وأكثر في غيبتي بما يشعر بالميل من الكلمات المبدعة...**»[28]. وأما تصانيف السخاوي، فهي على سمو مكانتها وطيب ذكرها وجلال أثرها، تبدو مثل مؤلفات علماء زمانه، خالية من نفحة التجديد، وخاوية من روح الإبداع، لا لضعف أو قصور في مؤهلات الإمام الجليل وقدراته، وإنما هي انعكاس لذلك العصر الذي عاش في ظلاله، وهو عصر تقليد لا تفكير، واجترار لا إبداع.

5.وفاته:

وقع اختلاف بين المؤرخين في مكان وزمان وفاة الإمام السخاوي[29]، وأكثر المترجمين على أنه توفي بالمدينة المنورة، في مجاورته الأخيرة بها. وصُلي على جثمانه بعد صلاة الصبح بالروضة الشريفة، ووُقف بنعشه تجاه الغرفة

الشريفة، ودُفن بالبقيع بجوار مشهد الإمام مالك بن أنس، وكانت جنازته حافلة، رحمه الله رحمة واسعة[30]. وزعم ابن طولون في مفاكهة الخلان أن الإمام السخاوي توفي بمكة[31]، ونقله عنه الغزي في الكواكب السائرة[32].

واخترمت المنية الإمام شمس الدين السخاوي في سنة اثنتين وتسعمائة، وعلى ذلك أكثر المترجمين له، كالعيدروس[33] وابن العماد[34] والشوكاني[35]. وذكر الغزي في الكواكب السائرة أنه رأى بخط بعض أهل العلم أن السخاوي توفي سنة خمس وتسعين وثمانمائة، ثم تعقبه بقوله: «**وهو خطأ بلا شك، فإني رأيت بخط السخاوي على كتاب « توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس» الشافعي للحافظ ابن حجر أنه قرئ عليه في مجالس آخرها يوم الجمعة ثامن شهر محرم سنة سبع وتسعين وثمانمائة بمنوله من مدرسة السلطان الأشرف قايتباي بمكة المشرفة، ورأيت بخطه أيضاً على الكتاب المذكور أنه قرئ عليه أيضاً بالمدرسة المذكورة في مجالس آخرها يوم الأربعاء ثامن عشر شهر ربيع الأول سنة تسعمائة...**[36]».

وقد تأسف الناس على موته، ورثوه، ومن ذلك رثاء تلميذه الشمس التونسي له في قصيدة من نحو سبعين بيتاً، يقول في مطلعها:

رثاك علينا يا سخاوي واجب ولكن دهتنا عنك منك المصائب

ويقول في آخرها:

لئن غربت شمس السخاوي في الثرى فكل بدور العالمين غوارب[37]

ب.التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة:

يعتبر هذا الكتاب من آخر مصنّفات الإمام السخاوي قبل وفاته بقليل، وذلك لأنه ضمّنه حوادث متأخرة تعود إلى سنة وفاة المؤلف، أي سنة اثنتين وتسعمائة. ولقد ألّف السخاوي كتابه المذكور أثناء إقامته بمدينة الرسول – على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم – في مجاورته الأخيرة بها.

وكتاب «التحفة اللطيفة» عبارة عن تراجم لأهل المدينة المنورة، ولمن قطنها من الغرباء ولو كان سنة واحدة، من القرن الأول إلى مستهل القرن العاشر الهجري. يقول الإمام السخاوي في مقدمة كتابه: «**توجهت لبيان أحوال أهل طيبة المشار إليها، والمخصوصة بالمزيد من الفضائل المنبه عليها، وألحقت فيهم من تخلف عن طريقهم، ولم يتعرف على ما أنعم الله به عليه، ولا تبعهم في توفيقهم... بل لم أقتصر على هؤلاء، حيث ذكرت من قطنها من الغرباء ولو سنة، بشرط أن يكون درَّس فيها أو حدَّث أو أفتى بالطريقة المرضية والسنة الواضحة الحسنة...**»[38].وأضاف الإمام السخاوي إلى تراجمه طائفة من الملوك والأمراء الذين كان لهم أيادي

بيضاء على المدينة وساكنيها دون أن يتشرفوا بزيارتها، وفي هذا يقول السخاوي: «**ولم ألتزم في المعمرين فمن بعدهم: كونهم سكنوها، فضلا عن أنهم من أهلها. بل ذكرت منهم من لم يطأ لحزنها وسهلها، أو وطئها خدمة بزائد العزم والهمة، كالجلال أبي الفوارس شاه شجاع، والجواد الجمال الأصبهاني الرباني بلا نزاع، والسلطان السعيد النور الشهيد، وأضرابهم ممن شغف بإسداء الإحسان إلى قاطن تربتها. وعرف بإسبال ذيل الامتنان إلى واطئي رحبتها، اقتداء بالمجد صاحب هذه العبارة، واهتداء بلباس من شمله السعد بما تضمنته الإشارة...**»[39].

هذا ما كان يخص موضوع كتاب «التحفة اللطيفة». وأما الغاية من وضعه لهذا المصنف، فإن الإمام السخاوي يقول: «وكان مما حداني على هذا الجمع، الذي تقر به العين، ويصغي إليه صحيح السمع أني لم أجد فيه مصنفا يشفي الغليل، وينفي الجهل باتضاح المقال والتعليل، مع مسيس الحاجة إليه، والتنفيس به عن المكروب، حيث لم يجد في ذلك ما يعتمد عليه. هذا، وقد أفردوا أهل كثير من البلدان – كبغداد، والشام، ومصر، وأصبهان – إلى غيرها مما يطول بذكره في هذا البيان، مع كون هذه أحق بالتنويه، وأصدق في الوجاهة والتوجيه»[40]. وعلى جري عادة أهل التراجم، فقد وضع الإمام السخاوي كتابه على حروف المعجم، تسهيلاً للقارئ أو الباحث للاستفادة منه والانتخاب، مراعياً في ذلك الترتيب في الآباء والأجداد، ثم أردف الأسماء بالكنى وبالأنساب ونحوها، ثم بالنساء. وابتدأ السخاوي كتابه بسيرة رسول الله ﷺ، وراعى أن تكون مختصرة ونافعة معتبرة. ثم أردفها بإشارة مختصرة للغاية تشتمل على ما اشتمل عليه المسجد النبوي الشريف من: الحجرة والروضة الشريفتين، والكسوة والسواري والأبواب والمنابر ونحوها، وما زيد من أروقته ووسعه، إلى أحكام حرمته وتعظيم جهاته، ومن تولى خدمته من الأئمة والخطباء والقضاة والنظار والمحتسبين والرؤساء والفراشين والخدّام. كما ألقى الإمام السخاوي الضوء على أماكن أخرى بالمدينة تُزار من المساجد والآبار، وما في البقيع من المشاهد المشهورة، وما بجوانبه من المدارس والربط والمطاهر وأماكن المرضى. ومن الملاحظ أن حجم الترجمة لا صلة له بشهرة المترجم له؛ فربما أعطى الإمام السخاوي لشخص مغمور من المساحة ما لم يعطها لشخص مشهور، فهذا الخليفة عمر بن الخطاب لا تتجاوز صفحات ترجمته أكثر من صفحة ونصف، بينما نال آخرون دون الفاروق منزلة وأقل منه شهرة صفحات أكثر، وحسناً فعل الإمام السخاوي! فالخليفة عمر، وغيره من مشاهير الصحابة والخلفاء والأمراء، أخبارهم مشهورة ومآثرهم

مسطورة، وأما غيرهم من أهل المدينة ومجاوريها فهم في حاجة إلى تراجم مطولة تُعرّف بهم وتروي بعضاً من أخبارهم. وبخلاف المُتَرجمين الذين عاصرهم الإمام السخاوي بالمدينة المنورة وخالطهم أثناء مجاوراته بها، فإنه استعان بما يزيد على أربعة وسبعين كتاباً صنّفها رجال سبقوه ليكتب عن أولئك الذين عاشوا في المدينة أو نزلوها قبله[41]. ومن جملة المصادر التي استفاد منها الإمام السخاوي، نذكر مثلاً: صحيح البخاري للإمام البخاري، والثقات لابن حبان، وتاريخ أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، وتاريخ دمشق لابن عساكر، والمنتظم لأبي فرج ابن الجوزي، وبغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم، وميزان الاعتدال لشمس الدين الذهبي، وتاريخ المدينة المنورة لأبي محمد بن فرحون، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين الفاسي، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، وغيرها كثير. ولقد راعى الإمام السخاوي الأمانة في الإشارة إلى مصادره المتنوعة، ولكنه لم يفرض على نفسه منهجاً محدداً في النقل عن غيره. ففي بعض الأحيان، يكتفي السخاوي بذكر شهرة صاحب المصدر، وأحياناً يذكر اسمه كاملاً، وأحياناً يذكر اسم الكتاب دون صاحبه، وأحياناً يذكر اسم المؤلف دون اسم كتابه؛ الأمر الذي يضع المرء في حيرة، خاصة وأن بعض المؤلفين كابن حبان أو الذهبي لديهم أكثر من مصدر اعتمد عليه الإمام السخاوي[42].وكان كتاب «التحفة اللطيفة» قد طُبع ونُشر سنة 1376هـ لأول مرة على يد أسعد طرابزوني الحسيني الذي اشتهر بحبه وخدمته للتراث، وقدّم له عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، وكتب ترجمة السخاوي وحواشي الكتاب الشيخ محمد حامد الفقي. ولقد اعتمد أسعد طرابزوني على نسخة مخطوطة تتضمن القسمين الأول والثاني فقط، وأما القسم الثالث فقد كان حينها مفقوداً. وظل الكتاب يُطبع لعقود عدة منقوصاً من قسمه الثالث والأخير. وبفضل من الله وتوفيقه، فقد عثر مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة على القسم الثالث قبل أكثر من عشرة أعوام، وقام المركز مشكوراً بتحقيقه تحقيقاً منهجياً وإصدار الكتاب في عشرة مجلدات[43]. إن العثور على القسم المفقود من الكتاب فيه حفظ لجهد الإمام السخاوي نفسه من الضياع، وفيه خدمة جليلة للباحثين ومحبي التاريخ. ولا شك في أن هذه الدراسة سوف تجني فائدة كبرى من اكتمال فصول الكتاب، لما في ذلك من سد لفجوة بارزة وإثراء ملحوظ لمادة البحث.ولعل من نافلة القول الإشارة إلى أن بعض تراجم المجاورين، وبخاصة تلك التي كان الإمام السخاوي ينقلها عن أبي محمد عبدالله بن فرحون المالكي (ت 769هـ/1367م)، فيها من التجاوزات

العقدية ما تتعارض مع النقل، ومن الشطحات الصوفية ما تتصادم مع العقل، مثل الادعاء بمعرفة الغيب، والتوسل بالنبي ﷺ، والاحتفال بالمولد النبوي، وتعظيم المشاهد، وما إلى ذلك من الضلالات. وعلى الرغم من أن الإمام السخاوي كان يقوم بعرض تلك الروايات نقلاً عن غيره، إلا أن المرء ليعجب من سكوته عنها ونقله لها دون أن يتعقب قائلها ويكشف عن تهافتها، وهو العالم الملتزم بالسنّة النبوية وضوابط الأثر، وصاحب القدم الراسخة في علوم الحديث، والأمثلة على ذلك كثيرة، وحسبنا أن نسوق اثنين منها. ففي ترجمته لإبراهيم المغربي، يقول السخاوي: «وللناس فيه اعتقاد، وبعضهم يثبت له أخباراً بمغيبات وبوقوعها»[44]. ونقل عن ابن فرحون، في ترجمته لسعادة المغربي: «**واشتهر في زمانه بين إخوانه أنه من أرباب الخطوة، وممن تطوى له الأرض وأنه كان يتأهب لصلاة الجمعة بمكة، فيُرى في المدينة يصليها ثم يرجع**»[45]. وعُرف عن الإمام السخاوي أنه كان يرى ضعف الأحاديث التي استدل بها الصوفية على جواز لبس خرقة التصوف، تلك الخرقة التي يُلبسها بعض مشايخ الصوفية مريديهم[46]، وبنوا عليها أحكاماً وأدواراً، إلا أنه مرَّ بذكر تلك الخرقة في كتابه «التحفة اللطيفة» عدة مرات من دون أن يبيّن موقف الدين من تلك الخرقة، بل أننا نجد الإمام السخاوي يمتثل لمطالب جماعة من أعيان الصوفية فيلبس خرقتهم[47]! وعموماً، فإن الكلام في تلك المسألة يلزمه سطوراً كثيرة؛ وهو الأمر الذي سيخرج بنا عن مقصودنا، ويحيد بنا عن موضوعنا، ولكننا سقناها من باب الفائدة ليس أكثر.

ثانياً: دور المجاورين في الحياة العامة:

لم يقبل المجاورون بالعيش في عزلة عن أهل المدينة، بل أنهم سرعان ما اندمجوا في مجتمعهم الجديد، وسطّروا حضوراً فاعلاً وأثراً ظاهراً في الحياة العامة فيها؛ وهو أمر تشهد به تلك الأدوار المتنوعة والإسهامات الطيبة التي اضطلع بها المجاورون على كافة الصعد المختلفة من دينية وعلمية واجتماعية واقتصادية. وسيعنى هذا المبحث باستجلاء بعض ملامح أدوار المجاورين في إثراء بعض جوانب الحياة العامة بمدينة الرسول ﷺ إبان العصر المملوكي. وكما سلف القول، فسوف يُقسم هذا المبحث إلى أربعة مطالب، وهي: الدور الديني، والدور العلمي، والدور الاجتماعي، على الترتيب.

أ.الدور الديني:

اجتذبت المدينة في العصر المملوكي بفضل ما حباها الله من مكانة دينية جليلة في قلوب المسلمين قاطبة جماً غفيراً من المجاورين. وكان جلّ

أولئك المجاورين من أهل الديانة والصيانة، ومن أصحاب الفضل والعلم، ولهذا فقد تصدى عدد كبير منهم للقيام بجملة من المهام الدينية على أكمل وجه وأحسن صورة.

لقد تقلد نفر غير قليل من المجاورين وظيفة القضاء، والقضاء من الولايات الدينية، بل هو من أعظمها وأجلّها[48]. فهذا نزيل المدينة بدر الدين حسن بن أحمد القيسي (ت 751هـ/1350م) الذي اشتهر بصلابته ومهابته، وبشدته على الأمراء والأشراف، وبلغ في مكايدتهم حد الإفراط والإسراف[49]. وقام تقي الدين عبدالرحمن بن عبدالمؤمن الهوريني القاهري (ت 760هـ/1358م) بقضاء المدينة أحسن قيام، وكان ذا هيبة عظيمة، وقيام في الحق، ونصرة للشرع[50]. ومن المجاورين القضاة البدر أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المخزومي (ت 775هـ/1373م) والذي عُرف بأنه كان حاكماً متورعاً، عادلاً صارماً، عارفاً بالأحكام[51]. وعُهد إلى الشهاب أحمد بن محمد الدمشقي (ت 813هـ/1410م) قضاء المدينة مدة من الزمن أثناء مجاورته بها، وكان قد شغل منصب القضاء في عدد من ولايات الشام[52]. واستقر الشمس أبو عبدالله محمد بن أحمد السخاوي (ت 895هـ/1489م) في قضاء طيبة سنيناً طويلة، وكان على طريقة حميدة من السياسة والتواضع والعفة والبشاشة ولين الجانب ونصرة كلمة الشرع[53]. وهناك من المجاورين من ناب في القضاء مثل الشهاب أحمد بن محمد الصنعاني (ت 726هـ/1326م)[54]. وكذلك ناب في الحكم في بعض القضايا المغربي المالكي عبدالله بن عبدالله الدكاري (ت 806هـ/1404م)، ومما أُخذ عليه تجرأوه على بعض العلماء، سامحه الله[55]. وتولى معظم القضاة، الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم، الخطابة والإمامة. فالمذكور سلفاً تقي الدين عبدالرحمن بن عبدالمؤمن الهوريني القاهري (ت 760هـ/1358م) جمع بين القضاء والخطابة والإمامة، حتى أنه وُصف بأنه لم يرق المنبر من هو أحسن منه صورة[56]. ونال القاضي البدر أبو إسحاق إبراهيم المخزومي (ت 775هـ/1373م) المشار إليه أعلاه شرف الخطابة والإمامة بجانب القضاء، حيث عُرف عنه أنه كان إماماً عالماً وخطيباً بارعاً[57]. وكذلك تولى الشهاب أحمد بن محمد الدمشقي (ت 813هـ/1410م) المذكور آنفاً الإمامة والخطابة بالمدينة إلى جانب القضاء[58]. وناب بعض المجاورين في الخطابة والإمامة معاً، نذكر منهم برهان الدين إبراهيم بن مسعود الأربلي الأصل القاهري المولد والمنشأ (ت 745هـ/1344م)، والذي كان شيخاً مهيباً حسن السمت، مليح الشيبة والشكل[59]. وناب بعضهم في الإمامة فقط، مثل عبدالكريم بن عبدالمعز الواسطي (ت 741هـ/1341م)، والذي كان للناس فيه اعتقاد زائد،

حيث أمَّ بالمسجد النبوي مدة طويلة، نيابة عن جماعة من الأئمة[60]. وجاور الشيخ العالم التونسي محمد بن علي الواديَاشي (ت نحو 750هـ/1350م) بالمدينة مراراً، وصلّى بالناس التراويح في المسجد النبوي[61]. وخطب بعضهم مرة واحدة، وهو ما حصل للعابد الزاهد برهان الدين إبراهيم بن جماعة النحوي (ت 764هـ/1363م)[62]. ووُجد بين المجاورين من قام بشعيرة الأذان، وهو إعلام المسلمين بدخول وقت الصلاة. ومن مشاهير المجاورين الذين تولوا الأذان عبدالله بن الزبير الأزدي المهلبي الأسواني (ت 762هـ/1361م)، حيث قدم إلى المدينة مجاورة أبيه، وبقي في صحبته مدة، ورُتب في الأذان، وكان حسن الصوت قراءة ومدحاً، وانتفع به الناس[63]. وفي نفس السنة التي مات فيها ابن الزبير المهلبي توفي علي بن معبد المصري، وقد ناطح الثمانين، وكان ملازماً لوظيفتي الأذان والإقامة شتاءً وصيفاً، لا يغيب لا في الموسم ولا في غيره[64]. وأكثر إبراهيم بن محمد الحريري، الدمشقي، والمعروف بابن الرَّسَّام (ت 806هـ/1404م) المجاورة بمكة، وجاور المدينة، وعمّر دهراً، وأذّن في جامع بني أمية بدمشق، وفي مكة والمدينة[65]. وكان الشيخ الصالح محمد بن كامل الحسري الحموي (عاش في القرن الهجري التاسع / القرن الخامس عشر الميلادي) شيخاً صالحاً كبيراً، تردّد إلى الحرمين كثيراً، وجاور بالمدينة، وأذّن فيها[66].وتصدر بعض المجاورين للإفتاء، وتلك مسألة عظيمة، ومهمة جسيمة، لا يتصدى لها إلا من بلغ في استنباط الأحكام الفقهية منزلة رفيعة. فممن برعوا في الفتيا نذكر أبا الفضل خليل بن عبدالرحمن القسطلاني (ت 760هـ/1359م)، والذي حصل من القبول عند الخاص والعام ما لم يحصل عليه أقرانه، وكان عالماً صالحاً مباركاً، وله فتاوى[67]. وجاور إبراهيم بن محمد اللخمي الأميوطي (ت 790هـ/1388م) بالمدينة غير مرة، وقصده الناس يستفتونه لسعة فضله وغزير علمه[68]. وكذلك جاور أبو عبدالله أحمد بن علي الحسني الفاسي (ت 819هـ/1416م) أوقاتاً كثيرة، واشتغل في فنون من العلم، وتقدم في معرفة الأحكام، وأفتى كثيراً[69]. وأما أبو عبدالله محمد بن أحمد التونسي (ت 819هـ/1416م) فقد كان له فتاوى كثيرة ومتفرقة، ولكن عِيب عليه مخالفته في بعض الأحيان للمنقول ومقتضى القواعد، واختلاف جوابه في الواقعة الواحدة، مراعاة منه لخواطر السائلين[70]. وحمل بعض المجاورين من أهل العفة والهمة على عواتقهم مسؤولية وعظ الناس وتذكيرهم. ولقد عرّف ابن الجوزي الوعظ بأنه: «تخويف يرق له القلب»[71]، وعرّف التذكير بأنه: «**تعريف الخلق نعم الله – عزَّ وجل – عليهم وحثهم على شكره وتحذيرهم من مخالفته**»[72]. ومن أشهر الوعاظ من المجاورين الصاحب

زين الدين أحمد بن محمد بن علي (ت 704هـ/1304م)، الذي أمر حين قدم إلى المدينة بقلع الجذعة التي كانت تسمى جزيرة فاطمة، لما كان ينشأ عنها من الفتنة والتشويش لمن يكون بالروضة حين اجتماع النساء والرجال عندها، وارتقائهم إليها، لكونها عالية، لا تنال بالأيدي، فتقف المرأة للأخرى حتى ترقى على ظهرها وكتفيها لتصل إليها، وربما وقعت المرأة وانكشفت عورتها، وربما وقعتا معا[73]. وكان يُضرب بالزاهد عبدالواحد الجزولي (ت نحو 717هـ/1318م) المثل في الشدة في الدين، وقوة اليقين، وكان إذا رأى منكراً غيره بيده ولسانه[74]. وممن قام ببذل الوعظ والنصح للمتعظين ودعوتهم إلى ما ينفعهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن بالغ المصري (ت 719هـ/1319م)[75]. ووُصف نور الدين علي بن أحمد المدلجي الكناني (ت 782هـ/1380م) بأنه كان رجلاً صالحاً، متقشفاً، ملازماً طريقة السلف، أماراً بالمعروف، نهاءً عن المنكر، لا يداري ولا يماري[76].

ب.الدور العلمي:

تعتبر المدينة المنورة واحدة من أعظم المركز العلمية في العالم الإسلامي، وكان يؤمها حشود من العلماء والطلبة من كل مكان، لنشر العلوم وتبادل المعارف وتلقيها. وكان المسجد النبوي بمثابة معهد مفتوح له الدور الريادي في النهوض بالعلوم وتنشيطها، هذا من دون أن نغفل إسهامات الكتاتيب والمدارس والأربطة بالمدينة في رفد الحركة العلمية. ولقد انخرط كثير من المجاورين في دفع الحركة العلمية إلى الأمام، كما سيأتي معنا.

فعلى مستوى التدريس، فقد تولى كثرة كاثرة من المجاورين مهمة التدريس في المسجد النبوي وغيره من أماكن التعليم. وكان الغالب عليهم الاشتغال بتدريس العلوم النقلية، وبخاصة العلوم الشرعية. ونظراً لكثرة من اشتغل منهم بالتدريس فسوف يُكتفى بذكر بعضاً منهم، تجنباً للإطالة والملالة. ويأتي على رأس العلوم وأهمها علم القراءات. ومن جملة من تصدى لإقراء القرآن في المدينة، نذكر مثلاً: عبدالحميد بن علي الموغاني (ت 727هـ/1327م) الذي لزم تلقين القرآن في المسجد طوال النهار، فلا تراه إلا في حلقة بين كبار وصغار، حتى أنه من شدة ضبطه وحرصه كان يضرب ذا الشيبة بيده ويأخذه بلحيته وأذنه[77]. وكان الزبير بن علي الأزدي المهلبي (ت 748هـ/1347م) إماماً في القراءات، وانتفع به خلق كثير[78]. وتصدر محمد بن عبدالله القلعي الدمشقي (ت 764هـ/1363م) للإفادة والتحصيل، وكان إماماً في القراءات، ملازماً للمشتغلين، وانتفع به الناس في دمشق والمدينة[79]. وكان أحمد بن إسماعيل الابشيطي (ت 883هـ/1478م) بارعاً في كثير من العلوم، وجلس

للإقراء، وانتفع به الناس[80]. وقدم يحيى بن أحمد الزندوني المغربي (ت 895هـ/1490م) المدينة، فقطنها، وتصدّى فيها لإقراء الأولاد، فقرأ عليه طبقة بعد طبقة، وانتفع به في ذلك[81]. واشتهر جم غفير من المجاورين في علوم الحديث، وكانت لهم في هذا المجال مشاركات طيبة. وممن عُرف باشتغاله في علوم الحديث وتدريسها يأتي الإمام العلاّمة، البحر الحبر، الشهاب أحمد الصنعاني، ثم الدمشقي (ت 735هـ/1335م)[82]. وكذلك انتفع الناس بدروس إبراهيم بن محمد اللخمي الأميوطي (ت 790هـ/1388م) المتقدم ذكره في الحرمين[83]. وأما أبو الفضل عبدالرحيم بن الحسين الكردي الأصل، ثم المصري، والمعروف بالعراقي (ت 806هـ/1404م)، فقد حجّ مراراً، وجاور بالحرمين، وحدّث فيهما بالكثير[84].وحدّث ودرّس الزين خلف بن أبي بكر المصري (ت 818هـ/1415م) بالمدينة، وأجاز لخلق[85]. ولمع نجم عدد من المجاورين في علم الفقه. فأبو علي الحسن بن عيسى الحاحائي المغربي(ت نحو 749هـ/1349م) كان رحلة في الفقه، وانتفع به الطلبة من جميع المذاهب[86]. وانقطع الفقيه الأجل البهاء عمر بن محمد القمطري الهندي (ت نحو 758هـ/1357م) غالب نهاره في الحرم النبوي للتدريس والإفادة، مع محبته للطلبة والحرص على إفادتهم، حتى أن الطالب إذا تأخر عن الدرس ذهب إليه البهاء بنفسه[87]. وكان تاج الدين عبدالواحد بن عمر بن عياد الأندلسي الأصل (ت نحو 789هـ/1387م) من جملة الفضلاء، والفقهاء المدرسين، وانتفع به طلبة العلم[88]. واستوطن المدينة عثمان بن إبراهيم الطرابلسي (ت 893هـ/1488م)، واستقر في تدريس الفقه بها، وصار شيخ الحنفية بها[89]. وقام بتدريس علوم اللغة العربية جملة من المجاورين العاشقين لها والعالمين بها. فمما يُذكر أن أبا عبدالله محمد بن فرحون التونسي الأصل (ت 721هـ/1321م) كان متفنناً في كثر من العلوم، ومنها العربية، وكانت له حلقة في النحو[90]. وجاور بالمدينة وحيد عصره، وفريد دهره، ولسان الأدب، وحجة العرب، أبو عبدالله محمد بن أحمد الهواري أصلاً، الأندلسي مولداً (ت 780هـ/1378م)، وقُرأت عليه كتب في العربية والعروض والبديع، فانتفع به طلبة العلم أيما انتفاع[91]. وبرع ودرّس العربية الجمال محمد بن أحمد الشامي (ت 777هـ/1376م)[92]. وظهر من بين المجاورين بالمدينة رجال عارفون بالفرائض[93] والحساب. ومن أولئك الذين كانت لهم مشاركات في الفرائض والحساب يبرز اسم أبي علي الحسن بن عيسى الحاحائي المغربي (ت نحو 749هـ/1349م) المشار إليه سلفاً، إذ كان رحلة في الفرائض والحساب[94]. وكذلك اشتهرأبو عبدالله محمد بن علي اللواتي التونسي (عاش في القرن التاسع الهجري / القرن الخامس

عشر الميلادي) بتميزه في الفرائض والحساب[95]. وكان المذكور سابقاً الشيخ الصالح محمد بن كامل الحسري الحموي (عاش في القرن التاسع الهجري / القرن الخامس عشر الميلادي) حاذقاً في الحساب ودقائقه[96]. وإلى جانب التدريس، فقد عكف جمهرة من علماء المجاورين على تأليف الكتب النافعة والمصنفات الجامعة، في شتى فنون المعرفة. فممن اشتغل بالتأليف نذكر أبا عبدالله محمد بن أحمد الآقشهري (ت 739هـ/1339م) الذي انقطع بالمدينة النبوية سنيناً مديدة، وصنّف تصانيف كثيرة واختصر مطولات كثيرة، واعتنى بعلم الحديث وتدوينه، وجمع وألّف فيه تواليف[97]. وعمل نزيل المينة الشريفة أبو بكر بن الحسين المراغي المصري (ت نحو 795هـ/1393م) لمدينة رسول الله تاريخاً حسناً سمّاه «تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة»[98]. وعُرف عن العفيف أبي محمد عبدالله بن أسعد اليافعي (ت 768هـ/1367م) علمه الغزير وتأليفه الوفير ونظمه الكثير، ومن مؤلفاته: «المرهم في أصول الدين»، وقصيدة طويلة من ثلاثة الآف بيت في العربية[99]. وصنّف تاج الدين عبدالواحد بن عمر بن عياد الأندلسي (ت نحو 789هـ/1387م) المذكور أعلاه مقدمة في العربية، واختصر «مغنى اللبيب» في كراريس، وسمّاه «المدني إلى فوائد المغني»[100]. وأقام الجلال أبو الطاهر أحمد بن محمد الخجندي (ت 802هـ/1400م) بالمدينة أكثر من أربعين سنة يدرّس ويؤلف، ومن كتبه: «شرح البردة» في مجلد كبير، و»شرح الأربعين النووية»، وله رسائل عديدة في التصوف وعلم الكلام وغيرهما من موضوعات[101]. وحرص عدد من المجاورين، ابتغاءً للأجر من عند الله أولاً وحرصاً على خدمة العلم وأهله ثانياً، على تزويد المساجد والمدارس والأربطة بما تحتاج إليه من الكتب، ووقفها لخدمة أهل العلم حتى ينتفعوا بها. ومن أولئك الذين وقفوا كتبهم يحيى بن زكريا المحيوي الحوراني (ت 721هـ/1321م) الذي كان له خزانة عظيمة، مشتملة على كتب حافلة، حيث أوقفها كلها، وجعل مقرها خزانة المدرسة الشهابية بالمدينة[102]. ولحقه عبدالواحد الجزولي (ت نحو 717هـ/1318م)، وهو الذي تقدم ذكره معنا، حيث قام بوقف كثير مما كتب، وفرّقه قبل موته بيسير[103]. واشتهر المذكور أبو عبدالله محمد بن فرحون (ت 721هـ/1321م) بحسن الخط، مع الصحة والضبط، فقام بنسخ «الروضة النووية» في إقامته بالمدينة، ووقفها في المدرسة الشهابية[104]. وكان لأحد المجاورين، واسمه أيوب المغربي (ت بعد 847هـ/1444م)، مكاناً موقوفاً بالمدينة، ووقف عليه بعض الكتب[105]. ووقف عمدة النسّاك وقدوة السلّاك إبراهيم بن رجب بن حماد (ت 755هـ/1354م) كتباً جليلة في الفقه والحديث والعربية وغيرها بالمدرسة

الشهابية بالمدينة، وأكثرها بمكة[106]. وشهدت المدينة المنورة في العصر المملوكي قيام عدد من المدارس، والتي يرجع الفضل في قيامها إلى السلاطين والملوك والأمراء. كما كان للموسرين من المجاورين دوراً محموداً في نشأة وصيانة بعض المدارس. فمن الأمثلة على ذلك، أن العلاّمة اللغوي محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزآبادي (ت 817هـ/1415م) صاحب المعجم المشهور «القاموس المحيط» جاور بالمدينة مراراً، وقرّر بها طلبة ومدرسين واشترى حديقتين بظاهرها وجعلهما لذلك[107]. وأسهم بعض المجاورين في ترميم مدارس قائمة، فهذا إبراهيم الرومي (ت 730هـ/1330م) كان يسكن مدرسة آيلة للسقوط، فأقام بنفسه أساطينها، حتى حملت السقوف والرواشين، فصارت في أيامه مزدهرة محترمة لا يدخلها ولا يسكنها إلا الخيار من الناس[108].

ج. الدور الاجتماعي:

يُراد بالدور الاجتماعي للمجاورين قيامهم بالأعمال الخيرية التطوعية، مثل: التصدق على الفقراء والمساكين، وحفر الآبار وإجراء الماء، ومداواة المرضى، وبناء المساجد والأربطة وترميمها، وغيرها من الأعمال التي يُقصد بها نيل مرضاة الله عزَّ وجل والتخفيف على الناس. ويزخر كتاب السخاوي بنماذج مشرفة وصور مشرقة لمجاورين بذلوا أموالهم وأرخصوا أوقاتهم في سبيل عمل الخير، كما سيتبين معنا.

يعتبر التصدق على الفقراء من أكثر أبواب الخير التي حرص المجاورون على طرقها، ولهم في ذلك أخبار كثيرة جداً، يحتاج الحديث عنها إلى صفحات. فمن الأمثلة على ذلك، أن أبا محمد علي اليمني (ت بعد 724هـ/1324م) كان من خيار المجاورين، وكثير الشفقة على المساكين[109]. وكان أحمد بن عبدالعزيز الهاشمي العقيلي (ت 737هـ/1336م) موصوفاً بالصلاح والخير والايثار، محباً للفقراء، مكرماً لهم، ينقطع إلى ما يقضي براحتهم، مبالغاً في ذلك[110]. ومما يُحمد لأبي الفضل خليل بن عبدالرحمن القسطلاني (ت 760هـ/1359م)، المذكور أعلاه، أنه كان من أهل البرّ والصدقة، ومواساة الفقراء، وتحمل الدين العظيم لأجلهم، حتى أن دينه ينتهي في بعض السنين إلى ما يقرب من مائة ألف درهم، ثم يقضيها الله عنه على أبرّ ما يكون[111]. ووُصف الشمس محمد بن عبدالله الخجندي (ت 764هـ/1363م) بأنه مبروك في الطعام، فكان يقال أنه يجتمع عليه كل ليلة جمعة الفقراء، فيقدم لهم طعام يُظن أنه يكفي ثلاثة أنفار، فيأكل منه فوق العشرين، ولا يزالون يأكلون منه حتى يشبعون، ثم يأخذ هو الفضلة بعد ذلك[112]، ولعل في هذه مبالغة زائدة. وعُرف عن الشمس محمد بن عبدالعزيز الجبرتي (ت 765هـ/1363م) أنه كان

يقضي حوائج الناس بما هو في يده، وبما هو عند غيره، ويسعى في تحصيله ولو برهن من حلي عياله، كراهة أن يرجع سائله خائباً[113]. ومما يعجب له المرء أن أحمد بن إسماعيل الابشيطي (ت 883هـ/1478م)، المتقدم معنا، مع فقره المدقع، بحيث أنه لم يكن في بيته شيء يفرشه لا حصير ولا غيره، إلا أنه كان يتصدق من خبزه[114]. وكان لبعض المجاورين جهود محمود ومساعي مشكورة في بناء الأربطة وترميمها. والأربطة، ومفردها رباط، تعني: «ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطا، وربما سميت الخيل أنفسها رباطا...»[115]. ومع مرور الأيام، أخذ مفهوم الرباط يتطور، ونطاقه يتوسع، فتحول من مجاهدة العدو إلى مجاهدة النفس، ومن مقر ينزله المقاتلة لدفع شر العدو وحراسة تخوم دولة الإسلام إلى مقر ينزله المتصوفة والمتفقهة وأبناء السبيل للعبادة وترويض النفس وطلب العلم. فممن قام ببناء الأربطة نذكر أبا بكر بن أحمد الصفي النينوائي (ت نحو 715هـ/1316م) الذي قام ببناء رباطين، أحدهما موقوف للرجال والنساء، والآخر على الرجال فقط[116]. وقام أبو الربيع سليمان بن أحمد الهلالي المغربي (ت 802هـ/1400م) بتعمير ربط كثيرة كانت قد أشرفت على الخراب[117]. وتمشيخ محمد بن عبدالله اليمني البعداني (ت 810هـ/1408م) على الفقراء برباط وكالة بالمدينة، وعمّره من مال سعى فيه عند بعض أرباب الدنيا[118]. وأوصى التاجر علي نور الدين الهوي (ت 875هـ/1470م) قبل موته بثلث ثروته لأعمال الخير، كعمارة بعض الأربطة[119]. ونشط بعض المجاورين في تعمير بيوت الله وتجديدها. فالشهاب الحسين بن أحمد الكيلاني المعروف بابن قاوان (ت 889هـ/1488م) تردّد إلى المدينة، وبنى فيها مسجداً[120]. وكان لابن الزمن الخواجا محمد بن عمر الدمشقي، ثم القاهري (ت 897هـ/1492م) مآثر حسنة في مكة والمدينة ودمشق والقاهرة، وجاور بمكة والمدينة، وله أعمال طيبة في عمارة المسجدين الشريفين[121]. ومن وجوه الخير التي حرص بعض المجاورين على القيام بها حفرهم للآبار وتعميرهم للعيون. فابن قاوان (ت 889هـ/1488م)، المذكور أعلاه، عمّر بئر غرس بالمدينة، وأحاطها بحديقة، وبنى بجوارها مسجداً[122]. وجدّد التاجر ابن عليبة حسن بن إبراهيم المناوي القاهري (ت 889هـ/1488م) بئر السقيا[123]. ومن جملة الأعمال المباركة لابن الزمن الخواجا محمد بن عمر (ت 897هـ/1492م)، المذكور أعلاه، قيامه بإصلاح العين الزرقاء بالمدينة[124]. ولا تقف أعمال الخير وطلب الأجر عند هذا الحد؛ فآفاق الدور الاجتماعي ممتدة، ووسائله متعددة. فالفقيه العالم والعابد الصالح

أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت نحو 740هـ/1340م) كان يتفقد الفقراء في بيوتهم، ويعالج الطرحى في أماكنهم، ويطوف على المرضى بالمدينة يتفقدهم[125]. واشترى نزيل المدينة عبدالعزيز بن زكنون (ت 746هـ/1346م) نخيلات ووقفها في وجه الخير[126]. وذُكر عن برهان الدين إبراهيم بن جماعة النحوي (ت 764هـ/1363م)، المذكور آنفاً، أنه كان يعمل طعاماً في المولد النبوي بالمدينة ويطعم الناس[127]، ويقول: **لو تمكنت عملت بطول الشهر كل يوم مولدا**»[128]. وعُرف عن النجار أبي بكر بن يوسف بن الفتيان (ت بعد 720هـ/1321م) حنوه على الحيوان، وكان يُرى وحوله عدد من الحيوان، ما بين هرر ودواب، قد ألفوه بالإحسان إليهم والرحمة بهم، وكان يرى هذا من جملة الصدقات، حتى بلغ به الأمر أنه كان يعرف أنسابهم، فكان يقول: هذا الهر جد هذا الهر، وهذا خال هذا، وهذا ابن عم هذا[129].

د. الدور الاقتصادي:

لم يعنَ الإمام السخاوي في تحفته كثيراً بإبراز الجوانب الاقتصادية من حياة مجاوري المدينة بقدر عنايته بالجوانب الدينية والعلمية أولاً، ثم الاجتماعية ثانياً. وعلى ما يبدو للباحث، فإن قلة إشارات الكتاب لمهن المجاورين وحرفهم قد تُعزى إلى قلة أثر تلك المشاركات في الحياة العامة عند مقارنتها بآثار المجاورين في المناشط الأخرى. ولا يبعد أن يكون سكوت المُصنّف عن ذكر وظائف بعضهم راجعاً إلى إقامتهم بالأربطة، والتي كانت توفر لهم ما يحتاجون إليه من مطعم وملبس ومسكن، هذا فضلاً عما كان يصلهم من أهل الخير من الصدقات والإعانات. وعلى الرغم مما سبق، فإن الكتاب لم يخلُ في مجمله من الإشارة إلى بعض الحرف والمهن التي مارسها بعضهم، وعلى رأسها التجارة كما سيأتي في السطور التالية.

فممن كان يعاني التجارة، واقتنى بالمدينة أملاكاً، واستوطنها، ووُلد له بها أولاد، يأتي نزيل الحرمين أبو قُنَين عبدالرحمن بن سعد الحضرمي (ت 812هـ/1409م)[130]. وكان ابن الزمن الخواجا محمد بن عمر (ت 897هـ/1492م) – المشار إليه أعلاه – تاجراً ابن تاجر، وكانت له أموالاً عظيمة وصدقات كثيرة. ولما نزل بلاد الحرمين صارت له وجاهة فيها، ونمت أمواله بسبب مراعاته في تجارته، مع كثرة خدمه وبذله[131]. ونزل المدينة علي بن سليمان القاهري المعروف بابن الطحان (ت 902هـ/1496م)، ونشأ مثل أبيه في التكسب، فأثرى، وكانت له تجارة تجوب البحر بين ينبع ومصر، وصار له نخل ودور[132]. وكان لنزيل المدينة المصري عبدالله بن محمد الجمال الظاهري (ت بعد 900هـ/1495م) ولع بالمضاربة بأموال الناس[133]. وحُمّلَ المذكور آنفاً

الشمس محمد بن عبدالعزيز الجبرتي (ت 765هـ/1363م) – لعاطر سيرته ونقاء سريرته – مسؤولية النظر على جميع حواصل المسجد النبوي الشريف، ومما ينشأ فيه من العمارات[134]. واشتغل أبو الربيع سليمان بن أحمد الهلالي المغربي (ت 802هـ/1400م) – المذكور سلفاً – بعد أن قطن المدينة ناظراً لأوقاف الأربطة من النخيل ونحوها، فلم يُر أحسن منه قياماً بها؛ لعفته ونصحه[135]. واستقر أحمد بن موسى النبتيتي (ت 937هـ/1530م) – نسبة إلى بلدة نبتيت بمصر – بالمدينة، وعمل بواباً لرباط المدرسة الأشرفية[136]، وكان مقيماً للصلاة، متقشفاً، إلا أنه كانت به غلظة[137]. وتحول حسن بن أحمد الدواخلي المصري (عاش في القرن التاسع الهجري / القرن الخامس عشر الميلادي) إلى مدينة رسول الله ﷺ، وعمل بواباً بمدرسة السلطان[138] هناك، وأصابه فالج فأقعده مدة، ثم عُوفي منه، إلا أنه صار ناقص الحركة قليلاً في مشيه[139]. ولما دخل المدينة الشهاب أحمد بن عبدالعزيز الهلالي (عاش في القرن الثامن الهجري / القرن الرابع عشر الميلادي) تسبّب بسقي الماء من العين، ثم أغناه الله، ووزر لأشراف المدينة، ومع هذا فقد ظل كما كان أميناً حافظاً، متواضعاً، لا يستنكف عن عمل طيب يعود نفعه على نفسه وعياله[140]. واشتغل المجاور الحسن العجمي (عاش في القرن الثامن الهجري / القرن الرابع عشر الميلادي) حين قدم المدينة بسقي الماء في الحرم النبوي، وكان رجلاً صالحاً، يتعبد في جوف الليل، ويرغب في إسداء صنائع المعروف[141]. وإلى جانب ما ذُكر، فقد جاور بمكة، ثم بالمدينة، إبراهيم بن إبراهيم البصري المعروف بابن زقزق (عاش في القرن الثامن الهجري / القرن الرابع عشر الميلادي)، وتكسّب بالنساخة، وكان مذكوراً بالصلاح والخير والتلاوة[142]. وقدم الشهاب النفطي أحمد بن محمد المغربي (ت 810هـ/1408م) المدينة فقيراً، فكان يتكسّب من عمل المراكب وشبهها، ثم وجد كنزاً عظيماً – حسب زعمهم – فتبدلت حاله واستغنى، وامتلك الدور والنخيل والحوانيت، وصار ذا خدم وحشم ووجاهة[143]. وعمل الحسن العجمي (عاش في القرن الثامن الهجري / القرن الرابع عشر الميلادي) – المشار إليه أعلاه – إلى جانب سقاية الماء بالفاعل، أي في البناء[144].

الخاتمة:

قامت هذه الدراسة المتواضعة باستطلاع دور المجاورين بالمدينة المنورة في العصر المملوكي، من خلال كتاب «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» للإمام شمس الدين السخاوي. ولقد انتهت الدراسة إلى أن المجاورين لم يتأخروا عن التعايش والاندماج في نسيج المجتمع المدني، وبخاصة أن طائفة

كبيرة من أولئك المجاورين أمضوا سنين طوال في مدينة الرسول عليه أفضل الصلوات والتسليم، بل أن بعضهم انقطعوا عن أوطانهم الأصلية وقضوا ما تبقى من أعمارهم فيها. ولقد خلصت الدراسة إلى أن المجاورين كانوا فاعلين ونشطين، ولهم إسهاماتهم المباركة وجهودهم الحثيثة في مختلف جوانب الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية.

ففيما يتصل بالحياة الدينية، فقد تقلد عدد غير قليل منهم جملة من الوظائف الدينية كالقضاء والإمامة والخطابة وغيرها من الوظائف، لما عُرفوا به من متانة الدين وغزارة العلم وسجاحة الخلق. كما استقطبت المدينة، باعتبارها منارة علمية بارزة، عدداً من المجاورين الذين كانت لهم مشاركاتهم الطيبة في مجالي التدريس والتأليف وغيرهما. وعلاوة على ما سبق، فقد تنافس كثير من المجاورين في فعل الخير، مثل: التصدق على الفقراء، وحفر الآبار وتجديدها، وبناء الأربطة وصيانتها، وغيرها من أعمال البرّ والخير. وأما ما يخص إسهاماتهم في الحياة الاقتصادية، فإن الكتاب لم يعنَ كثيراً باستقصاء جهودهم في هذا الميدان، ربما لقلة مساسها بحياة الناس على نحو مباشر، أو لمحدودية أثرها وقصر أجلها إذا ما قُورنت بالأثر الديني أو العلمي أو الاجتماعي. وكما تقدم معنا، فهذه الدراسة اكتفت بتسليط بعض الضوء على مشاركات المجاورين في الحياة العامة في العصر المملوكي، اعتماداً على كتاب «التحفة اللطيفة» للإمام السخاوي. ولعلنا نرى في المستقبل دراسة أخرى تُعنى باستقصاء أدوار المجاورين في الحياة العامة بالمدينةفي زمن سابق أو لاحق لزمن المماليك،أو أن نرى دراسة تبحث في طبيعة العلاقة بين أولئك المجاورين وأمراء المدينة وأشرافها من آل مهنا والذين كان أغلبهم على المذهب الشيعي. وفي الختام، اسأل الله جلّ ثناؤه التوفيق فيما كتبت، والقصد الهادف فيما أديت، والفلاح فيما سويت، والمعذرة فيما أكون فيه قد أخطأت، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، والحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المصادر والمراجع:

(1) الغصن، سليمان بن صالح، فضل المدينة وآداب الزيارة، ط 7 (الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1433هـ)، 9.
(2)سورة التوبة: آية 120.
(3) السمهودي، نور الدين علي بن عبدالله (ت 911هـ/1506م)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق: قاسم السامرائي (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1422هـ/2001م)، 1: 61 – 92
(4)السمهودي، وفاء الوفاء، 1: 93.
(5)السمهودي، وفاء الوفاء، 1: 93.
(6)البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت 256هـ/870م)، صحيح البخاري (دمشق: دار ابن كثير، 1423هـ/2002م)، كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس، حديث رقم 1871
(7)البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، حديث رقم 1880
(8) القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت 261هـ/875م)، صحيح مسلم (القاهرة: دار التأصيل، 1435هـ/2014م)، كتاب المناسك، حديث رقم 1388.
(9) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب إثم من كاد أهل المدينة، حديث رقم 1877.
(10)مسلم، صحيح مسلم، كتاب المناسك، حديث رقم 1393.
(11)مسلم، صحيح مسلم، كتاب المناسك، حديث رقم 1384.
(12)البرّ، عبدالرحمن عبدالحميد، التحفة الزكية في فضائل المدينة النبوية (المنصورة: دار اليقين، 1421هـ/2000م)، 48
(13)يُنسب السخاوي إلى سخا، وهي قرية في أسفل مصر، وهي تتبع اليوم مركز كفر الشيخ بمديرية مصر الغربية، وهي تبعد عن القاهرة سبعة عشر كيلاً. انظر: العماش، بدر بن محمد، الحافظ السخاوي وجهوده في الحديث وعلومه (الرياض: مكتبة الرشد، 1420هـ)، 1: 32.
(14) الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت 1061هـ/1651م)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ/1997م)، 1: 53
(15)العماش، الحافظ السخاوي، 1: 33.
(16)العماش، الحافظ السخاوي، 34.
(17)السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد (902هـ/1497م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (بيروت: دار الجيل، 1992م)، 8: 2.
(18)ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد العكري (1089هـ/1679م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط (دمشق: دار ابن كثير، 1414هـ/1993م)، 10: 23.
(19)ابن العماد، شذرات الذهب، 10: 23.
(20) العيدروس، عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله (1038هـ/1628م)، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق: أحمد حالو، محمود الأرناؤوط، أكرم البوشي (بيروت: دار صادر، 2001م)، 40
(21) العيدروس، النور السافر، 40.

(22)الغزي، الكواكب السائرة، 1: 53.
(23)السخاوي، الضوء اللامع، 8: 10.
(24)العماش، الحافظ السخاوي، 1: 50 – 67.
(25)العماش، الحافظ السخاوي، 1: 15.
(26)العيدروس، النور السافر، 43 – 44.
(27)السخاوي، الضوء اللامع، 3: 74.
(28)السخاوي، الضوء اللامع، 6: 211.
(29)الغزي، الكواكب السائرة، 1: 54.
(30)العيدروس، النور السافر، 40.
(31)ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن محمد (ت 953هـ/1546م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م)، 146.
(32)الغزي، الكواكب السائرة، 1: 54.
(33)العيدروس، النور السافر، 40.
(34)ابن العماد، شذرات الذهب، 10: 23.
(35)الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت 1250هـ/1834م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د. ت)، 2: 186.
(36)الغزي، الكواكب السائرة، 1: 54.
(37)العماش، الحافظ السخاوي، 1: 44.
(38)السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد (ت 902هـ/1497م)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط 3(المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، 2018م)، 1: 5-6
(39)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 7-8.
(40)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 8.
(41)العماش، الحافظ السخاوي، 263.
(42)عنيزان، فاطمة زبار، «طرق الاقتباس في كتاب التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي (ت 902هـ): دراسة تحليلية»، مجلة كلية التربية للبنات – جامعة بغداد، مج 29، ع 1 (2018م): 1862، https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=149507
(43) المدينة المنورة واس، «اكتمال التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة»، جريدة الرياض، ع 15032 (29 شعبان، 1430هـ/20 أغسطس، 2009م)، http://www.alriyadh.com/453501
(44) السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 309.
(45)السخاوي، التحفة اللطيفة، 3: 101.
(46)السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (902هـ/1497م)، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشت (بيروت: دار الكتاب العربي، 1985م)، 527.
(47) السخاوي، المقاصد الحسنة، 528.
(48)الأنباري، عبد الرزاق علي، منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية منذ نشأته حتى نهاية العصر السلجوقي (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1987 م)، 34.

(49)السخاوي، التحفة اللطيفة، 2: 329.
(50)السخاوي، التحفة اللطيفة، 4: 283.
(51) السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 191-192.
(52) السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 434-435.
(53) السخاوي، التحفة اللطيفة، 6: 46.
(54)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 497
(55) السخاوي، التحفة اللطيفة، 4: 12.
(56)السخاوي، التحفة اللطيفة، 4: 282.
(57)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 189.
(58) السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 434.
(59) السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 288.
(60)السخاوي، التحفة اللطيفة، 4: 441.
(61) السخاوي، التحفة اللطيفة، 6: 366.
(62)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 302.
(63)السخاوي، التحفة اللطيفة، 3: 509.
(64)السخاوي، التحفة اللطيفة، 5: 194.
(65)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 267-269.
(66)السخاوي، التحفة اللطيفة، 6: 458.
(67) السخاوي، التحفة اللطيفة، 2: 500.
(68) السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 279.
(69)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 402.
(70)السخاوي، التحفة اللطيفة، 5: 588.
(71)ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ/1201م)، القُصّاص والمذكرين، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ (بيروت: المكتب الإسلامي، 140هـ/1983م)، 160.
(72)ابن الجوزي، القُصّص والمذكرين، 159.
(73)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 456.
(74) السخاوي، التحفة اللطيفة، 4: 502.
(75)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 341.
(76)السخاوي، التحفة اللطيفة، 5: 107.
(77)السخاوي، التحفة اللطيفة، 4: 210-211.
(78)السخاوي، التحفة اللطيفة، 3: 11.
(79)السخاوي، التحفة اللطيفة، 6: 225.
(80)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 334.
(81)السخاوي، التحفة اللطيفة، 8: 153.
(82)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 518.
(83)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 279.

(84)السخاوي، التحفة اللطيفة، 4: 356.
(85)السخاوي، التحفة اللطيفة، 2: 492.
(86)السخاوي، التحفة اللطيفة، 2: 368.
(87)السخاوي، التحفة اللطيفة، 5: 351.
(88)السخاوي، التحفة اللطيفة، 4: 499.
(89)السخاوي، التحفة اللطيفة، 5: 10.
(90)السخاوي، التحفة اللطيفة، 6: 436.
(91)السخاوي، التحفة اللطيفة، 5: 591-592.
(92)السخاوي، التحفة اللطيفة، 5: 578.
(93)علم الفرائض: أو الفروض، وهو العلم الذي يُعرف به كيفية قسمة التركة على مستحقيها. انظر: الجرجاني، علي بن محمد (ت 816هـ/1413م)، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي (القاهرة: دار الفضيلة، 2012م)، 139.
(94)السخاوي، التحفة اللطيفة، 2: 367.
(95)السخاوي، التحفة اللطيفة، 6: 364.
(96)السخاوي، التحفة اللطيفة، 6: 458.
(97)السخاوي، التحفة اللطيفة، 5: 562-563.
(98)السخاوي، التحفة اللطيفة، 8: 342.
(99)السخاوي، التحفة اللطيفة، 3: 455.
(100) السخاوي، التحفة اللطيفة، 4: 498-499.
(101)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 490-491
(102)السخاوي، التحفة اللطيفة، 8: 163.
(103) السخاوي، التحفة اللطيفة، 4: 502.
(104)السخاوي، التحفة اللطيفة، 6: 436.
(105) السخاوي، التحفة اللطيفة، 2: 133.
(106)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 218-219.
(107) السخاوي، التحفة اللطيفة، 7: 185.
(108) السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 310.
(109)السخاوي، التحفة اللطيفة، 5: 214.
(110)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 372.
(111) السخاوي، التحفة اللطيفة، 2: 497.
(112)السخاوي، التحفة اللطيفة، 6: 246-247.
(113) السخاوي، التحفة اللطيفة، 6: 310.
(114)السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 334.
(115)ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311م)، لسان العرب (القاهرة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د. ت)، 9: 173.
(116) السخاوي، التحفة اللطيفة، 8: 336.
(117) السخاوي، التحفة اللطيفة، 3: 211.
(118)السخاوي، التحفة اللطيفة، 6: 214.

(119) السخاوي، التحفة اللطيفة، 5: 215.
(120) السخاوي، التحفة اللطيفة، 2: 383.
(121) السخاوي، التحفة اللطيفة، 6: 416.
(122) السخاوي، التحفة اللطيفة، 2: 382.
(123) السخاوي، التحفة اللطيفة، 2: 327.
(124) السخاوي، التحفة اللطيفة، 6: 416.
(125) السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 467.
(126) السخاوي، التحفة اللطيفة، 4: 390.
(127) الاحتفال بالمولد النبوي بدعة مستحدثة، لم يفعلها النبي ﷺ في حياته، ولا فعلها أصحابه من بعده، ولم يعرفها المسلمون في القرون الأولى، وإنما أحدثها المبتدعة من الشيعة، ثم تابعهم بعض المنتسبين للسنّة.
(128) السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 302.
(129) السخاوي، التحفة اللطيفة، 8: 373.
(130) السخاوي، التحفة اللطيفة، 4: 261.
(131) السخاوي، التحفة اللطيفة، 5: 122.
(132) السخاوي، التحفة اللطيفة، 6: 415.
(133) السخاوي، التحفة اللطيفة، 4: 109.
(134) السخاوي، التحفة اللطيفة، 6: 310.
(135) السخاوي، التحفة اللطيفة، 3: 211.
(136) لمدرسة الأشرفية: سُميت بذلك نسبة إلى السلطان المملوكي الجركسي الأشرف قايتباي (872 – 901هـ/1468 – 1496م). بُنيت المدرسة بعد الحريق الذي طال المسجد النبوي سنة 886هـ/1481م، وموقعها بين بابي السلام والرحمة، وأرسل إليها السلطان خزانة كبيرة محشوة بكتب كثيرة، وألحق بها مرافق عديدة ومؤسسات تعليمة أخرى، منها مكتب للأيتام، وسبيل. انظر: المديرس، عبدالرحمن مديرس، المدينة المنورة في العصر المملوكي (648 – 923هـ/1250 – 1517م) (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1422هـ/2001م)، 253 – 254.
(137) السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 502 – 503.
(138) مدرسة السلطان: لا يُعرف على وجه اليقين من هو المقصود بالسلطان في هذا الموضع. فإلى جانب المدرسة الأشرفية التي كان السلطان الأشرف قايتباي قد أمر ببنائها، فقد قامت بالمدينة مدارس أخرى من بناء سلاطين الهند. انظر: المديرس، المدينة المنورة في العصر المملوكي، 252 – 253
(139) السخاوي، التحفة اللطيفة، 2: 330.
(140) السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 373.
(141) السخاوي، التحفة اللطيفة، 2: 378.
(142) السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 186.
(143) السخاوي، التحفة اللطيفة، 1: 453 – 454.
(144) السخاوي، التحفة اللطيفة، 2: 378.